

وتاريخ البورجوازية العربية في المضاربة على التناقضات الدولية ، تاريخ طويل . لعل من أبرز أمثلته لجوء مصطفى كامل — رئيس الحزب الوطني المصري — في مطلع هذا القرن الى فرنسا الاستعمارية تحت وهم الاستعانة بها على الامبريالية البريطانية التي كانت تجثم على صدر الشعب المصري آنذاك . والمثل البارز الثاني ، كان لجوء الحاج امين الحسيني — مفتي القدس ورأس الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة — في أواخر الثلاثينات الى ألمانيا النازية ، طمعا في مناصرتها للحركة الوطنية الفلسطينية ! ولعل فيما يقوله أحد الكتاب المصريين ما يلقي المزيد من الضوء على توجه البورجوازية العربية المعاصرة هذا ، اذ يقول ... والعالم كله لا يقابل هذا الارتباط ( يقصد التعايش السوفياتي الأمريكي ) بارتياح ، حتى لو افترضنا انه ارتباط يؤكد السلام العالمي . وعدم الارتياح يرتبط بالمصالح الواقعية لكل دولة وما يمكن ان تتأثر به نتيجة هذا الارتباط ... أما الدول الصغيرة النامية — ونحن منها — فلا شك انها أكثر قلقا من هذا الارتباط ... فان الدول النامية او معظمها ، أقامت اسلوبها السياسي الدولي على وجود تصارع بين الدولتين ، بحيث تستطيع من خلال هذا التصارع ان تحقق مصالحها الذاتية ، حتى مع افتراض ان الدولتين لن تقدما على مواجهة احدهما الاخرى عسكريا . ولا شك ان هذا الارتباط الجديد قد قضى على التصارع الدولي في صورته الكاملة ، ولم يبق منه الا فقاعات تصارع ، لا تؤثر في اتخاذ أي موقف جدي من احدهما تجاه الاخرى خاص بأي قضية عالمية . أي ان هذا الارتباط يمكن ان يكون عملية تقسيم سياسي بين الدولتين الاعظم للاشراف على مصير العالم ، استكمالا للتقسيم الجغرافي الذي تم باتفاقية يالطا ، التي اعلنت ايام الحرب العالمية الاخيرة . وهو ما يتطلب من الدول النامية ان تعدل وتغير كل استراتيجيتها ، وفي كل تكتيكاتها ، وفي كل اهدافها . كما حدث بين كوريا الشمالية والجنوبية ، وكما حدث لألمانيا ، وكما حدث في كل مكان تعود ان يبنى نفسه على تصارع الكتلتين العالميتين « (٦) .

وإذا كان الجزء السابق من مقالنا فيه ما يرد على معظم ما قاله عبد القدوس هنا ، فان ثمة مسألتين ، مما اثاره من مسائل ، تحتاجان الى بعض التوضيح والتعليق . الاولى تلك الخاصة بتقسيم العالم السياسي والجغرافي بين أمريكا والاتحاد السوفياتي . والثانية اضطرار الدول النامية الى تغيير استراتيجيتها وكل اهدافها . فبالرغم من كون الاتحاد السوفياتي طرفا أساسيا في علاقات القوى الدولية ، بطبيعة ضخامة تأثيره ، كما وكيفا ، الا انه ليس ثمة ما يربطه بمناطق النفوذ — التي دأبت الدول الاستعمارية على تقسيمها واقتسامها فيما بينها — وذلك بحكم طبيعة نظامه الاشتراكي . وما العلاقات الامريكية — السوفياتية الجديدة الا صياغة جديدة للعلاقات الدولية ، فرضتها ظروف سبق الاشارة اليها . ولم يصبح النظامان الاشتراكي والراسمالي — ولن يصبحا — سمنا على غنسل . وسيظل التناقض بينهما قائما طالما بقيت الرأسمالية ، بل هو التناقض الرئيسي الذي ما فتئ يحكم عالم اليوم . وليس التعايش السلمي الجديد ارتباطا ولا تواطؤا ، كما انه ليس — ابدا — بدياة النهاية للثورة الاشتراكية والصراع الطبقي . والتعايش لا يلغى التناقضات بين النظامين . وكل ما في الامر ان المرحلة الجديدة ترمي الى تجنب الصدام والتحكم في أسباب المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واذا كان مفهوما ان تغير بعض الدول في تكتيكاتها ، فليس هناك ما يبرر تغييرها لكل استراتيجيتها . وكل اهدافها !! فالاستراتيجيات والاهداف ثابتة ، والتغيير لا يلحق الا بالاساليب ، بالتكتيكات .

وليس دافع هذه الاجنحة من البورجوازية للتعلق بسراب التسوية السلمية مجرد الضحالة الثورية وحسب ، بل عشمها — أيضا — ان يعيد التاريخ نفسه ، فتتجح في التوصل الى مثل تسوية العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ . وتجهل هذه الاجنحة — وربما